جامعة تكريت – كلية التربية للعلوم الانسانية .

قسم التاريخ .

الدراسات العليا : الماجستير في التاريخ الاسلامي .

مادة : السيرة النبوية .

عنوان المحاضرة : سرية الدعوة

استاذ المادة : أ.د . حسين اعبيد الجبوري

2026-2025

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تعارف الناس على وصف المرحلة الأولى من الدعوة بالسرية ووردت الروايات الدالة على ذلك ، إلا أنها لم تفصح عن نوع هذه السرية ، هل كتم أمر الدعوة عن الناس ولم يدعوا أحداً ؟ خصوصاً مع ذكر أن إسلام من أسلم إنما كان بعد أن حمي الوحي ونزول سورة المدثر [1] ، أم هي سرية التنظيم - إن صح التعبير - وهو عدم الإفصاح عمن آمن بالدعوة ؟ متى بدأت سرية الدعوة ، بعد اللقاء الأول بالوحي أو في زمن آخر ؟ وتساؤلات كثيرة لا نجد لها جواباً في الروايات الواردة في هذا الخصوص ، وفي الحقيقة إن مدة إقامة رسول الله ﷺ في مكة بعد أن نزل عليه الوحي سوى كانت عشراً، أو ثلاثة عشر ، وحتى خمسة عشر سنة ، لا تكفي زمنياً لتكون فيها كل المراحل التي ذكرها الرواة من سرية الدعوة ، وفتور الوحي ، والحصار في شعب أبي طالب ، وغيرها من الأحداث ، إلا أن تكون هناك مرحلتين من المراحل وقعت في زمن واحد والراجح ان سرية الدعوة وفتور الوحي كانتا في ذات الوقت ، والسؤال الأهم من هذا هل كانت سرية الدعوة بأمر من الله تعالى أو اجتهد بذلك رسول الله ﷺ ؟ .

لم يورد المحدثون في الصحاح رواية صريحة تدل على سرية الدعوة ، وذكرت رواية واحدة في صحيح مسلم فيها إشارة إلى استخفاء رسول الله ﷺ من قومه ، ففي الرواية التي يرويها عمرو بن عبسة السلمي[2] عن إسلامه فيقول : ((كنت وأنا في الجاهلية أظن أنَّ الناس على ضلالة وأنهم ليسوا على شيء وهم يعبدون الأوثان ، فسمعت برجل بمكة يخبر أخباراً فقعدت على راحلتي فقدمت عليه فإذا رسول الله ﷺ مستخفياً جُرآء[3] عليه قومه ، فتلطفت حتى دخلت عليه بمكة فقلت له ما أنت ؟ قال (أنا نبي) فقلت وما نبي ؟ قال : (أرسلني الله) ، فقلت وبأي شيء أرسلك ؟ قال : (ارسلني بصلة الأرحام ، وكسر الأوثان ، وأن يوحد الله لا يشرك به شيء) فقلت له فمن معك على هذا ؟ قال : (حُرٌ وعبد) قال ومعه يومئذ أبو بكر وبلال ممن آمن به فقلت إني متبعك ، قال : (إنك لا تستطيع ذلك يومك هذا، ألا ترى حالي وحال الناس ؟ ولكن أرجع إلى أهلك فإذا سمعت بي قد ظهرت فأتني) قال فذهبت إلى أهلي وقدم رسول الله ﷺ المدينة وكنت في أهلي فجعلت أتخبر الأخبار وأسأل الناس حين قدم المدينة ... فقدمت المدينة فدخلت عليه فقلت يا

([1]) ابن كثير ، السيرة النبوية ، ج1 ص493 .

([2]) عمرو بن عبسة : هو بجلي ، وهو سلمي ، ويكنى أبا نجيح ، وقيل أبو شعيب ، أسلم قديماً أول الإسلام ، كان يقال هو ربع الإسلام ، قدم المدينة بعد مضي بدر ، وأحد ، والخندق ، فسكنها ونزل بعد ذلك الشام ، روى عنه عدد من الصحابة ومن التابعين ، ابن الأثير ، اسد الغابة ، ج3 ص511-512 .

([3]) جرأ : فلانُ جريء أي جسور ، الفراهيدي ، كتاب العين ، ص133 مادة (جرأ) .

رسول الله أتعرفني ؟ قال : (نعم أنت الذي لقيتني بمكة ؟) قال قلت بلى))[4] ، إن قوله مستخفياً لا يحتم أنه يدل على سرية الدعوة ، وربما استخفى مؤقتاً خشية أن يتعرض إلى مكروه من قومه ، وقوله (حُرٌ وعبد) لا يدل على العدد اثنان كما ذهب إلى ذلك ابن الأثير في ترجمة عمرو بن عبسة وقوله كان يقال هو ربع الإسلام ، وإنما يقصد صنفان من أصناف المجتمع منهم الحر ومنهم العبد ، وقوله معه يومئذ أبو بكر وبلال ، غير دقيق فإن كان أبو بكر من أوائل من أسلم فإن بلالاً ممن أسلم بعد ذلك كما أورد ابن اسحاق ((فابتدأ أبو بكر أمره ، وأظهر إسلامه ودعا الناس، وأظهر علي وزيد بن حارثة إسلامهما فكبر ذلك على قريش ...وكان أبو بكر رجلاً مُآلفاً لقومه ... فجعل يدعو إلى الإسلام من وثق به من قومه ممن يغشاه ويجلس إليه فأسلم على يديه فيما بلغني : الزبير بن العوام ، وعثمان بن عفان ، وطلحة بن عبدالله ، وسعد بن أبي وقاص ، وعبدالرحمن بن عوف ، ومعهم أبو بكر فانطلقوا حتى أتوا رسول الله ﷺ فعرض عليهم الإسلام ... فآمنوا وأصبحوا مقرين بحق الإسلام ، فكان هؤلاء النفر الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام))[5] فكيف يكون عمرو بن عبسة ربع الإسلام ؟ والنووي في شرحه للحديث لم يتطرق إلى مسألة كونه مستخفياً ، وقال : ((في قوله (جراء عليه قومه) هي الإقدام والتسلط ، وعن قوله (ومعه يومئذ أبو بكر وبلال) دليل على فضلهما ، وقد يحتج به من قال أنهما أول من أسلم))[6] .

أما المؤرخون فأورد الزهري روايتين صريحتين في سرِّيَّة الدعوة الأولى مؤداها ((دعا رسول الله ﷺ إلى الإسلام سراً وجهراً وإلى نبذ الأوثان))[7] ، والثانية جاء فيها ((مكث النبي ﷺ بمكة خمس عشرة سنة ، منها أربع أو خمس يدعو إلى الإسلام سراً ، وهو خائف))[8] .

وقال ابن اسحاق من جانبه : ((إن رسول الله ﷺ لما بعث كان أخفى الشيء واستسر به إلى أن أمره الله بإظهاره ، فلبث سنين من مبعثه ، إلى أن جاءه الأمر بإعلان الدعوة))[9] أما ابن هشام فحدد مدة سرية الدعوة بثلاث سنين ابتداءً من مبعثه[10] ، وزاد في المدة خليفة ابن خياط فجعلها خمس سنين[11] .

([4]) مسلم ، صحيح مسلم ، ص219 حديث رقم (832) .
([5]) ابن اسحاق ، السيرة النبوية ، ص139-140 .
([6]) النووي ، صحيح مسلم بشرح النووي ، ج4 ص141 .
([7]) الزهري ، المغازي النبوية ، ص46 .
([8]) الزهري ، المغازي النبوية ، ص74 .
([9]) ابن اسحاق ، السيرة النبوية ، ص145 .
([10]) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ص102 .
([11]) ابن خياط ، تاريخ ، ص17 .

وفي رواية البلاذري دليل على حرص رسول الله ﷺ على سرِّيَّة الدعوة إذ ينقل عن الواقدي قوله ((رأى علي النبي ﷺ تصلي معه خديجة فقال : ما هذا يا محمد؟ فقال رسول الله يا علي هذا دين الله الذي اصطفاه واختاره ، وأنا أدعوك إلى الله وحده ، وأن تذر اللات والعزى فإنهما لا ينفعان ولا يضران ، فقال علي : ما سمعت بهذا الدين إلى اليوم وأنا استأمر أبي فيه ، فكره رسول الله ﷺ أن يفشي ذلك قبل استعلان أمره ، فقال : يا علي إن فعلت ما قلت لك ، وإلا فاكتم ما رأيت))[12] ، وأورد البلاذري روايات أخرى حدد فيها مدة سرية الدعوة ، بثلاث سنين ابتداءً من مبدأ نبوته إلى أن جهر بالدعوة[13] ، وفي رواية ثالثة جعل مدة سرية الدعوة أربع سنين[14] ، وفي روايته الرابعة يرويها عن ابن عباس عن زيد بن عمور بن نفيل الذي يقول ((استخفينا بالإسلام سنة ما نصلي إلا في بيت مغلق ، أو في شعب خال ينظر بعضنا لبعض))[15]، ربما هذه السنة كانت بعد مدة فتور الوحي التي يروى أنها دامت ثلاث سنوات فتوافق الرواية التي سبقتها التي عدت مدة سرية الدعوة أربع سنين ، ويؤيد ذلك ما جاء في رواية البلاذري الخامسة والتي تبين أنَّ قريشاً لم تناصب رسول الله ﷺ العداء إلا بعد أن عاب آلهتهم ، وذكر أن آبائهم كفار ماتوا على ضلال وأنهم في النار ، وأن في أول الأمر دعا رسول الله ﷺ سراً وهجر الأوثان ، فاستجاب له أحداث من الرجال ، وضعفاء من الناس ، حتى كثر من آمن به ، وكفار قريش من وجوهها غير منكرين لما يقول[16] .

أما ابن أبي خيثمة ففي روايته الوحيدة قال : ((وكان ما بين ما أخفى رسول الله ﷺ أمره واستتر به إلى أن أمر بإظهار أمره ثلاث سنين ، من مبعثه ﷺ))[17] ، وجمعت رواية اليعقوبي بين روايتي البلاذري الثانية والخامسة من حيث مدة سرية الدعوة ، وموقف قريش من الدعوة في أول الأمر وسبب مناصبتها العداء للدعوة ، وهي كذلك توافق رواية ابن أبي خيثمة في مدة سرية الدعوة وهي ثلاث سنوات[18].

ورواية الطبري الأولى التي رواها ابن اسحاق جعلت قول الله تعالى :

([12]) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج1 ص128-130 .
([13]) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج1 ص132 .
([14]) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج1 ص132 .
([15]) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج1 ص132 .
([16]) البلاذري ،انساب الاشراف ،ج1 ص132 .
([17]) ابن أبي خيثمة ، التاريخ الكبير ، ج3 ص170 .
([18]) اليعقوبي ، تاريخ ، ج2ص16 .

﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾[19] ، إيذاناً من الله تعالى إلى رسوله ﷺ أن يحدث بنعمة الله عز وجل وكرامته من النبوة وأن يدعوا إليها ، فجعل رسول الله ﷺ يذكر ما أنعم الله تعالى عليه وعلى العباد به من النبوة سراً إلى من يطمئن إليه من أهله ، فكان أول من صدق وآمن به واتبعه من خلق الله زوجته خديجة (رضي الله عنها)[20] ، وفي تفسير القرآن العظيم ذكر المفسر النعمة عمل الخير وذكر قول الطبري نفسه وكذلك من رواية ابن اسحاق فقال ((قال ما عملت من خير فحدث إخوانك، وقال محمد بن اسحاق ما جاءك من الله من نعمة وكرامة من النبوة فحدث فيها واذكرها وادع إليها قال فجعل رسول الله ﷺ يذكر ما أنعم الله به عليه من النبوة سراً إلى من يطمئن إليه من أهله))[21] إلا أنه لم يذكر إسلام خديجة (رضي الله عنها) ، ومن جانب آخر هذه الرواية تدل على أن ابن كثير نقل من الطبري أو أنهما نقلا عن المصدر نفسه ، وأيد مفسر آخر أن النعمة التي جاءت في الآية الكريمة هي النبوة ، وذكر كذلك أن سورة الضحى هي الحادية عشر نزولاً[22] ، وأما صاحب الضلال فقال : ((أن الوحي فتر عن رسول الله ﷺ وأبطأ عليه جبريل عليه السلام فقال المشركون : ودع محمداً ربه ، فأنزل الله تعالى هذه السورة ... وأما التحدث بنعمة الله – وبخاصة نعمة الهدى والإيمان – فهو صورة من صور الشكر للمنعم))[23] .

والرواية الثانية للطبري أيضاً تؤكد سرية الدعوة فيقول : ((إنَّ رسول الله ﷺ كان إذا حضرت الصلاة ، خرج إلى شعاب مكة ، وخرج معه علي بن أبي طالب مستخفياً من عمه أبي طالب وجميع أعمامه وسائر قومه ، فيصليان الصلوات فيها ، فإذا أمسيا رجعا ، فمكثا كذلك ما شاء الله أن يمكثا ، ثم أن أبا طالب عثر عليهما يوماً وهما يصليان ، فقال لرسول ﷺ يا ابن أخي ما هذا الدين الذي تدين به ؟ قال : أي عم ، هذا دين الله ... وانت يا عم أحق من بذلت له النصيحة ... فقال أبو طالب : يا ابن أخي لا استطيع أن أفارق ديني ودين آبائي))[24] ، وهذه الرواية تدل على أن الأمر كان طي الكتمان حتى عن عمه أبي طالب وأن السّرية دامت مدة ليس باليسيرة ،والتي صرح بها في رواية ثالثة بأنها ثلاث سنوات[25] ، وإن قوله في الرواية الثانية (إذا حضرت الصلاة) دل على أن للصلاة وقت محدد ، والمشهور أن فرض الصلاة كان في آخر العهد المكي

([19]) سورة الضحى : آية 11 .
([20]) الطبري ، تاريخ ، ص312 .
([21]) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج4 ص524 .
([22]) ملا حويش ، مختصر تفسير بيان المعاني ، ص22 .
([23]) سيد قطب ، في ضلال القرآن ، ج6 ص3925-3928 .
([24]) الطبري ، تاريخ ، ص314 .
([25]) الطبري ، تاريخ ، ص317 .

، وربما كان رسول الله ﷺ ومن معه من المسلمين اعتادوا أن يصلون في أوقات بعينها قبل أن تفرض الصلاة حددوها باجتهاد من رسول الله ﷺ .